خاتمة

● أحداث خطيرة بين عامى ١٨٧٥ ــ ١٩٢٥ ــ التنظيمات والقضية العربية ــ آراء حول دعوة الاصــلاح ــ المنابع الفكرية للثــورة العرابية والثورة المهديــة ــ الســلطان عبد الحميد ودستور مدحت باشا ــ تركيا الفتاة عهد جديد للطغيان ــ سياسة الاتراك الاتحاديين تمهد للثورة العربية ــ أثر الحرب العالمية الاولى ــ كتشنر والشريف حسين ــ التمهيد للخديعة الكبرى ــ الصهيونية تطــــل برأسها ــ وايزمان فى بريطانيا وبرانداييس فى واشنطون وسوكولوف فى أوروبا ــ الوطن العربى فى قبضة الصهيونية وحلفائها ــ فترة حاسمة (١٩١٩ ــ ١٩٢٥) ــ الغرب وعقدة الذنب أمام اليهود ــ الوطن العربى ضحية العقدة .

* * *

obeikandl.com

خاتمـــــة

لقد شـــهدت الفترة ـــ موضع البحث ـــ نهاية « عصر التنظيمات » وما يسميه مؤرخو الغرب « الاستبداد الحميدى » (١٨٧٦ ـــ ١٩٠٨) وكان فى حقيقته صمودا حميديا • كذلك شهدت الفترة بداية الاستعمار الصهيونى فى فلسطين (١٨٨٢) وجهاد الأفغانى (١٨٣٨ ـــ ١٨٩٧) فى العالم العربى والاسلامى ، وانعقاد المؤتمـــر الصهيونى الأول فى « بال » (١٨٩٧) وانفجار الثورة العرابية فى مصر (١٨٨٢) وتوطيد دعائم الحكم البريطانى فى السودان أو ما كان يسمى « الحكم الثنائى» (١٨٩٩) كما شهدت الفترة ذاتها الانقلاب العثمانى (١٩٠٨) الذى أطاح بالعهد الحميدى ومهد لدكتاتورية الأتـــراك الاتحـــاديين [1] ، واندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) وانطلاق الثورة العربيـــة فى الحجاز (١٩١٦) واعلان وعد بلفور (١٩١٧) واثابة العـــرب على مؤازرتهم للحلفاء فى الحرب بانتزاع فلسطين منهم واهدائها للصهيونية العالمية واخضاع بلادهم لمزيد من التمزق والاحتلال الأجنبى باســـم « الوصاية » و « الحماية » و « الانتداب » •

وكان لكل من هذه الأحداث أثر مباشر أو غير مباشر فى تشـــكيل القضية العربية وتحديد اتجاهاتها « فالتنظيمات » هى الذريعة التى اتخذتها الدول الأوروبية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا فى القرن التاسع عشر للتدخل فى شئون الدولة العثمانية ، تارة باسم الاصلاح وتـــارة باسم حمـــاية الأقليات ولكن الدوافع الحقيقيـــة وراءها كانت رعاية المصالح السياسية والاقتصادية لتلك الدول ، لأن وجـــود الخلافـــة العثمانية ـــ على ضعفها ـــ فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كان يمثل خطراً كبيراً على مصالح الدول الكبرى آنذاك ومصدر الخطر ـــ كما تصوره ساسة ذلك العصر ـــ أن ضعف الدولة العثمانية قد يغرى بعض الدول الأوروبية المتنافسة على اقتسام تركة الرجل المريض لتحقيق مطامعها الخاصة على حساب البعض الآخر • فروسيا القيصرية ما فتئت

---

(١) جمعية الاتحاد والترقى .

تتطلع الى منفذ لها الى البحر المتوسط عبر المضايق التركية ، وفرنسا كانت شديدة الغيرة على ما سمته مصالحها فى شرقى ذلك البحر ثم فى افريقيا بعد احتلال تونس (١٨٨١) وبريطانيا — لاسيما بعد افتتاح قناة السويس — كانت ترقب بحذر هذه التطلعات من جانب روسيا وفرنسا زاعمة أن انهيار الامبراطورية العثمانية ينذر بخطر محقق على مصالحها فى الهند وتجارتها الخارجية ومن ثم تبنت بريطانيا الدعوة الى المحافظة على سلامة الدولة العثمانية واصلاحها من الداخل وهى دعوة حق أريد بها باطل ، وذلك فى اطار السياسة البريطانية تجاه هذه المسألة التى كانت تعرف « بالمسألة الشرقية » .

وصلة « التنظيمات » بالقضية العربية ، أن دار العروبة فى الشرق كانت جزءا من دار الخلافة العثمانية كما كانت حقل تجارب لعملية التنظيمات التى جلبت وراءها الامتيازات الأجنبية وتغلغل النفوذ الأوروبى فأصبحت مصر مثلا[٢] مسرحا لأسوأ أنواع التدخل الأوروبى الذى بلغ ذروته فى عهد الخديو اسماعيل وتوفيق عندما اتخذ التدخل أولا صورة رقابة مالية تحولت الى تدخل سياسى سافر ثم الى احتلال عسكرى (١٨٨٢) وكان أبرز معالم ذلك التدخل اخراج السيد جمال الدين الأفغانى من مصر تحت ضغط الحكومة البريطانية وتعيين بعض الأجانب فى مجلس وزراء مصر (ريفرز ويلسون ودى بانيير)[٣] وحرمان مجلس النواب الوطنى حق الرقابة المالية على شئون البلاد ومنح الخديو سلطة مطلقة يمارسها بتوجيه القنصل البريطانى والقنصل الفرنسى .

ولقد سرت مظاهر الظلم وسوء الادارة التى اتسم بها حكم

---

(٢) كان لمصر وضع خاص بعد معاهدة لندن ١٨٤٠ — استقلت فيه عن الدولة العثمانية مع بقاء السيادة العثمانية عليها وضمان العرش فيها لمحمد على باشا وأسرته من بعد بالتوارث ، انظر : راشد البراوى ، مجموعة الوثائق السياسية ج ١ ، المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٥ — ٣٠ .

(٣) انظر تفاصيل هذا التدخل فى كتاب روتشتين « Egypt's Ruin » (تاريخ المسألة المصرية) تعريب عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٢٣ ص ٦٣ — ٦٩ .

بعض الولاة فى أقاليم الدولة العثمانية ، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، الى أجزاء أخرى من الوطن العربى ، مع ضعف السلطة المركزية فى القسطنطينية واتساع دائرة الصراع بين الدول الأوروبية على مراكز النفوذ الاقتصادى والسياسى والدينى فى الشرق الأوسط لا سيما فى الجزء الغربى من الهلال الخصيب (الشام) وكان رد الفعل لهذه الأوضاع دعوة الى الاصلاح الحقيقى نابعة من احساس الشعوب العربية والعثمانية بالحاجة الى التغيير الذى يلبى مطامحها ولا يمسخ شخصيتها وقيمها وتراثها فارتفعت الأصوات فى تركيا تنادى بالاصلاح الجذرى ، أصوات محمد نامق كمال (١٨٤٠ — ١٨٨٨) وضياء باشا كما ارتفعت صيحة الاصلاح فى الشرق العربى على أقلام جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبى .

وكان على سلاطين آل عثمان ، بعد منتصف القرن التاسع عشر أن يختاروا بين الاستجابة لدعوة الاصلاح المنبثقة من ضمير الشعب الحر أو دعوة الاصلاح التى تبنتها الدول الأجنبية[٤] ، وكان السلطان عبد الحميد الثانى الذى اعتلى عرش السلطنة فى عام ١٨٧٦ آخر سلاطين آل عثمان الذين واجهوا هذا الاختيار العسير .

ولكن السلطان عبد الحميد لم يكن يواجه دعوة للاصلاح فحسب وانما كان يواجه أيضا مدا استعماريا ينذر الخلافة الاسلامية بالفناء ودولا أوروبية متربصة . وكان مفهوم الاصلاح فى عصر التنظيمات — ولعله فى عصرنا هذا أيضا — مرادفا فى نظر الغرب لمعنى «العلمانية» وصياغة الحياة السياسية والاقتصادية فى دار الاسلام على النمط الغربى العلمانى . ومن ثم ، كان السلطان عبد الحميد حذرا فى تقبل الفكرة فلم ينفذ سياسة الاصلاح على النهج الذى أرادته الدول الأوروبية ، فاستغلت تلك الدول هذا الموقف لممارسة مزيد من الضغط على السلطان العثمانى وعلى ولاته فى الأقاليم العربية والعثمانية التى ظلت خاضعة للسلطان خضوعا مباشرا بينما واصلت بريطانيا وفرنسا تدخلهما فى مصر تحت ستار حماية الدائنين الأوروبيين فضعف مسند

---

(٤) انظر : د. حسين مؤنس : الشرق الاسلامى فى العصر الحديث لجنة الجامعيين لنشر العلم ، مطبعة حجازى ، القاهرة ١٩٣٨ ص ٢٦١ .

الخديوية ثم أوعزت بريطانيا للباب العالى بعزل الخديو اسماعيل وأسندت السلطة الى خلفه توفيق الذى أصبح يتصرف بتوجيه القنصلين البريطانى والفرنسى واستشرى التذمر بين الجنود الوطنيين بسبب ما أصابهم من غبن فى عهد عثمان رغقى وأعوانه من الشراكسة وكانت تعاليم الأفغانى قد آتت ثمارها وتجاوبت دعوة المصلحين فى الأزهر مع صيحة رواد الاصلاح الدستورى أمثال شريف باشا ومحمود سامى البارودى وتهيأ الجو الثورى فانطلقت الثورة فى مصر يقودها أحمد عرابى وعندما التقت جهود القادة الوطنيين والعسكريين من العرابيين لم تعد الثورة ضد المظالم التى عانى منها أبناء الفلاحين فى القوات المصرية المسلحة ولكنها أصبحت ثورة وطنية ضد التدخل « البريطانى ـ الفرنسى » وضد النفوذ الأجنبى أياً كان مصدره وضد مساوىء حكم الخديو توفيق • وانتقلت مظاهر الضعف التى اتسم بها حكم أسرة محمد على خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر الى السودان الذى أصبح منذ عام ١٨٤١ اقليما تابعا لمحمد على وفقا لفرمان ولايته الذى ورد فيه « ان سدنتنا الملوكية كما توضح فى فرماننا السلطانى السابق قد ثبتتكم على ولاية مصر بطريق التوارث بشروط وحدود معينة وقد قلدتكم فضلا عن ولاية مصر مقاطعات الدوبة والدرامور وكردفان جميع توابعها وملحقاتها الخارجة عن حدود مصر » (٥) •

وكما أدى خطل سياسة الخديو وضعفه أمام التدخل الأجنبى الى اندلاع الثورة العرابية فى مصر ، فان سوء الادارة وتفشى المظالم فى ظل الادارة الخديوية فى السودان ووضوح مظاهر النفوذ الأجنبى كانت من العوامل الهامة التى أذكت ضرام الثورة المهدية فى السودان ولا يستطيع كاتب أن يتحدث عن الثورة العرابية دون أن يذكر الثورة المهدية ، اذ انفجرت الثورتان فى عام واحد (٦) (١٨٨١) ، احداهما ضد سلطة الخديو فى مصر والأخرى ضد حكمه فى السودان مع

---

(٥) راشد البراوى : المصدر نفسه ص ٣٠ .

(٦) اذا اعتبرنا حادثة « أبا » (١٢ أغسطس ١٨٨١) اعلانا للثورة المهدية ومظاهرة عابدين (٩ سبتمبر ١٨٨١) انطلاقا للثورة العرابية .

اختلاف طبيعة الثورتين وأهدافهما وتباين الظروف المحلية التى مهدت لهما والظروف العالمية التى أدت الى قمع كل منهما ومع هذا الاختلاف فان المنابع الفكرية التى نهل منها قادة الثورتين كانت مشتركة وهى تتمثل فى تعاليم الأفغـانى بما تحمله من بعث للشعوب الاسـلامية ومناهضة للنفوذ الأجنبى واستلهام للقيم الاسلامية ودعوة المهـدى بما تنطوى عليه من اعزاز للدين وجهاد فى سبيل الله وتحرير للأرض التى وطئتها أقدام المعتدين •

واذا كان السلطان عبد الحميد قد اضطر الى قبول دستور مدحت باشا استجابة للضغط الذى واجهه وأعلن ذلك الدستور فى اليـوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٧٦ فانه ما لبث أن ألغاه وحل البرلمان فى الرابع عشر من شهر فبراير سنة ١٨٧٨ وظل يحكم الدولة بغير دستور حتى انفجرت ثورة تركيا الفتاة فى سنة ١٩٠٨ •

ومع أن السلطان عبد الحميد حاول أن يتدارك الموقف باعلانه دستور سنة ١٨٧٦ ، فى ٢٤ يوليو عام ١٩٠٨ ، فان الزمام أفلت من يده وانتهى عهده ليبدأ عهد جديد من عهود الطغيان هو عهد تركيا الفتاة الذى انتهى بانتهاء الدولة العثمانية ووقوع البلاد العربية فى قبضـة الاستعمار والصهيونية •

ولعل أبعد الأحداث أثرا فى تشكيل القضية العربية وتحـديد اتجاهاتها بعد زوال العهد الحميدى كانت سياسة الأتراك الاتحاديين ازاء الأقاليم العربية وظروف الحرب العالمية الأولى • فسياسة جمعية الاتحـاد والترقى أو الأتراك الاتحاديين كانت تقـوم على الارهاب وتتريك (٧) الشعوب العثمانية وارتكاب أنواع من المظالم فاقت كل ما كان يوجه الى العهد الحميدى من تهم وكان لهذه السياسـة أثرها الواضح فى تحويل اتجاه القضية العربية من مجرد دعوة الى الاصلاح واللامركزية فى اطار الدولة العثمانية الموحدة الى حركة سياسية جادة ترمى الى استقلال البلاد ثم الى ثورة مسلحة ضد الأتراك •

---

(٧) أى تحويل الشعوب العثمانية الى أتراك عن طريق نشره اللغة التركية ومحاربة الاتجاهات الوطنية .

أما ظروف الحرب العالمية الأولى فقد أثرت على القضية من عدة وجوه : منها أن دخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا دفع بريطانيا الى تعديل سياستها المعلنة نحو « المسألة الشرقية » تعديلا جذريا فأصبحت بريطانيا أول دولة تقتطع جزءا حيويا — بل أهم جزء — من أقاليم الدولة العثمانية وذلك باعلان الحماية على مصر سنة ١٩١٤ بعد أن كانت تتظاهر بالدفاع عن سلامة الدولة العثمانية وممتلكاتها ، ومع أن اعلان الحماية لم يغير من الواقع شيئا وهو أن مصر كانت خاضعة للاحتلال البريطانى منذ هزيمة عرابى فى معركة التل الكبير (١٨٨٢) فان انضمام تركيا الى ألمانيا واعلان الحماية على مصر أعطى بريطانيا الفرصة للظهور بمظهر الدولة الحادبة على مصر المدافعة عنها ضد مطامع ألمانيا وحلفائها الأتراك الاتحاديين مستغلة ذلك الشعور العدائى الذى أخذ ينمو عند قادة الحركة العربية ضد سياسة الأتراك لا سيما بعد المذابح التى ارتكبها جمال باشا عندما ولى أمر سوريا فى سنوات الحرب الأولى ومن ثم أخذت بريطانيا تمهد لجذب قادة الحركة العربية الى صف الحلفاء فى الحرب ضد تركيا وأصدرت توجيهاتها الى ممثلها فى القاهرة فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ (٨) ليستطلع موقف شريف مكة الحسين بن على اذا استجابت تركيا لضغط جليدتها ألمانيا وقامت بتحركات عسكرية معادية لبريطانيا . وكان هذا التوجيه بداية الاتصالات التى انتهت برسائل « حسين — ماكماهون» الشهيرة واعلان الثورة العربية فى الحجاز ضد تركيا ولصالح الحلفاء (يونيو ١٩١٦) وهكذا نرى أن بريطانيا أباحت لنفسها أن ترث السيادة العثمانية على مصر قبل وفاة الرجل المريض ولبست رداء المدافع عن حقوق الأمة العربية جمعاء ضد مطامع تركيا واستبدادها .

ومن ناحية أخرى أتاحت ظروف الحرب العالمية الأولى فرصة نادرة للحركة الصهيونية لتجمع صفوفها بعد الانقسام الخطير الذى أصابها نتيجة اختلاف قادتها حول قبول الاقتراح القاضى بمنحهم وطنا

---

(٨) Storrs (Ronald) The Memoirs of Sir Ronald. Storrs G.P Putnam's Sons, New York, 1937, P. 163.

قوميا لليهود فى شرقى افريقيا وظهر الاختلاف واضحا فى المؤتمر الصهيونى السادس (١٩٠٣) ولكن الحرب بعثت فى الحركة الصهيونية نشاطا جديدا بقيادة وايزمان فى بريطانيا وبراندايس فى الولايات المتحدة الأمريكية وسولوكوف فى القارة الأوروبية •

ففى بريطانيا كان حاييم وايزمان على صلة وثيقة بمحرر المانشستر جارديان ، مستر س•ب• سكوت الذى استطاع أن يمهد لاجتماع بين وايزمان ولويد جورج (وزير المالية آنذاك فى حكومة اسكويث) وهربرت صمويل • وقد سبق هذا الاجتماع اقناع لويد جورج بأن فلسطين اذا دخلت فى دائرة النفوذ البريطانى واذا شجعت بريطانيا هجرة اليهود الى فلسطين فانها سوف تصبح فى ظرف خمسة وعشرين أو ثلاثين عاما ، موطنا لنحو مليون من المهاجرين اليهود الذين«يعيدون اليها الحضارة ويقفون حراسا أقوياء على قناة السويس » وقد حمل هذا الرأى هربرت صميل فى رسالة الى لويد جورج مؤرخة فى ١٢ نوفمبر ١٩١٤ (٩) •

كذلك أتاحت ظروف الحرب لوايزمان أن ينتقل من جامعة مانشستر حيث كان يعمل محاضرا فى الكيمياء ، الى لندن فى عام ١٩١٦ حيث التحق بوزارة الحربية ونال حظا وافرا من الاعجاب بسبب ابتكاره الخاص باعداد مادة الأسيتون ، ومن ثم وجد مجالا فسيحا للالتقاء بساسة بريطانيا فى الدوائر العليا واقناعهم بتأييد الحركة الصهيونية والتقى نشاطه هناك بنشاط زعيمين آخرين من زعماء الصهيونية هما تشلنوف (روسيا) وسولوكوف (بولندا) اللذين قدما الى لندن فى نهاية عام ١٩١٤ •

وفى الولايات المتحدة الأمريكية انحدر نشاط الصهيونية الى أدنى درجات الهبوط قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى لا سيما فى عام ١٩١٢ ولكن مع اشتعال نار الحرب ظهر لوى براندايس زعيما للحركة

---

(٩) Mrs. Blanche Dugdale, The Balfour Declaration Jerusalem,1940, P. 25.

الصهيونية فانتخب رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية التمهيدية فى ٣٠ أغسطس ١٩١٤ [١٠] وعين قاضيا للمحكمة العليا فى أول يناير عام ١٩١٦ ومنذ ذلك التاريخ أتاح له مركزه وصلته الخاصة بالرئيس ويلسون أن يوجه السياسة الأمريكية لخدمة الصهيونية وكان ثمرة نشاط وايزمان فى لندن وبراندايس فى واشنطون وسوكولوف فى باريس وروما والفاتيكان اعلان وعد بلفور وما تبع ذلك من نشاط انتهى بانحياز السياسةالبريطانية والأمريكية لارادة الصهيونية فى كل المسائل المتعلقة بفلسطين وقد وضح هذا الانحياز فى اصدار وعد بلفور وصيغته كما ظهر فى « معاهدة سيفرس » وفى فرض الانتداب البريطانى على فلسطين وفى صياغة وثيقة الانتداب وادراج وعد بلفور فيها وفى تعيين هربرت صمويل حاكما عاما على فلسطين عام ١٩٢٠ •

وظروف الحرب العالمية الأولى هى التى زينت لبريطانيا أن تقيم سياستها فى الشرق الأوسط على عدد من الوعود والاتفاقات بدأت برسائل «حسين — ماكماهون » (١٤ يوليو ١٩١٥) ثم اتفاق «سايكس — بيكو » (ابريل — مايو ١٩١٦) فوعد بلفور (٢ نوفمبر ١٩١٧) فرسالة هوجارث (يناير ١٩١٨) فالتصريح الموجه للسبعة (يونيو ١٩١٨) فتأكيدات اللنبى للامير فيصل (أكتوبر ١٩١٨) وختمها بالتصريح البريطانى — الفرنسى (٧ نوفمبر ١٩١٨) [١١] •

وقد حسب قادة الحركة العربية آنذاك أنهم قاب قوسين أو أدنى من تحقيق مطالبهم فى الحرية والاستقلال بعد أن تضع الحرب أوزارها استنادا الى تلك الوعود ولكن الواقع المرير أثبت أن بريطانيا لم تحترم من هذه الوعود سوى وعد بلفور واتفاق «سايكس — بيكو» بعد ادخال بعض التعديلات عليه للتوفيق بين المطامع الفرنسية فى سوريا ومطامع

---

(١٠) Rabinowitz (Ezekel) Justice Louis D. Brandeis New York, 1968 pp. 18 - 38 .

(١١) Woodward and Butler, Documents on British Foreign Policy, First Series 1919 — 1939. H.M. S.O., London, 1952 Vol . 4. p. 241.

الصهيونية فى فلسطين وحتى وعد بلفور فان بريطانيا لم تنفذ منه سوى ذلك الجزء الذى يرعى مصالح الصهيونية فى انشاء الوطن القومى لليهود ضاربة عرض الحائط بتعهدها فيما يتعلق بصيانة الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية (١٢) المقيمة فى فلسطين • اما الوعود البريطانية الأخرى للعرب فانها لم تكن تساوى قصاصة الورق التى كتبت عليها •

وتطلع العرب فى مصر والهلال الخصيب الى مؤتمر السلام (١٩١٩) لانصافهم واستنجزوا بريطانيا وحلفاءها الوعود التى قطعت لهم أثناء الحرب ، ولكن عبثا • وقضى الأمر بعد ابرام معاهدة الصلح فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى والعراق تحت الانتداب البريطانى وذهبت فلسطين لقمة سائغة للصهيونية تحت قيادة هربرت صمويل المندوب السامى البريطانى وأحد زعماء الصهيونية (١٣) وظلت مصر فى قبضة الاحتلال البريطانى ، وفاز الشريف حسين بن على بلقب ملك الحجاز ريثما تمنحه بريطانيا حق اللجوء السياسى الى قبرص وتعد له البارجه « دلهى » لنقله الى منفاه فى ١٨ يونيو عام ١٩٢٥ (١٤) وقد سبقه الى المنفى (٣ مارس ١٩٢٤) آخر سلاطين آل عثمان على اثر ازالة الخلافة الاسلامية من الوجود ، حتى فى مظهرها الروحى ، وظهر مصطفى كمال أتاتورك قائدا لتركيا العلمانية •

وأدرك قادة الأمة العربية — بعد فوات الأوان — مدى الخداع الذى كانت تمارسه بريطانيا فى علاقاتها معهم وعبر الشريف حسين بن على عن حسرته قائلا : « لقد تجاهلت النقد الذى تلقيته من مسلمى تركيا بشأن علاقاتى مع بريطانيا وقد وجدت فى الاستجابة لدعوة بريطانيا لى لاعلان الثورة تجديدا لمجد العرب وارضاء لمشاعر المسلمين وكانت نتيجة ذلك نهاية العرب ونهاية تركيا على السواء »(١٥) •

---

(١٢) هكذا كان صناع وعد بلفور يسمون الشعب العربى فى فلسطين.
(١٣) لم يكن لهربرت صمويل منصب رسمى فى المنظمة الصهيونية ولكنه ظل يخدمها من وراء ستار .
(١٤) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ٣ — ص ٢١١ .
(١٥) Woodward and Butler, op. cit., Vol. 13 p. 309.

لقد كانت الفترة (١٩١٩ ــ ١٩٢٥) حاسمة فى تاريخ القضية العربية لأنها شهدت تقنين الاحتلال البريطانى فى العراق والاحتلال الفرنسى فى سوريا ولبنان باسم الانتداب تارة وباسم الحماية والوصاية ومعاهدات التحالف تارة أخرى ، بل كانت هذه الفترة ــ بحق ــ فترة التمكين للصهيونية فى فلسطين واحاطتها بضمانات وصفت بأنها دولية تمثلت فى الاعتراف بوعد بلفور على نطاق عالمى وادراجه فى وثيقة الانتداب على فلسطين والنص على الانتداب فى المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم • وقد حددت تسويات الحلفاء خلال الفترة (١٩١٩ ــ ١٩٢٠) معالم المعركة بين الأمة العربية والغرب من ناحية وبينها وبين الصهيونية العالمية من ناحية أخرى طوال النصف الأول من القرن العشرين وكسبت الأمة العربية المعركة ضد الاحتلال البريطانى والفرنسى ولكن معركتها مع الصهيونية ما زالت قائمة وقد تمتد أجيالا بل قرونا لأن طبيعة المعركة اليوم تختلف عنها بالأمس • لقد كانت الأمة العربية بالأمس تواجه احتلالا بريطانيا وفرنسيا موقوتا مهما طال مداه ولكنها اليوم تواجه قوة فرضت عليها بحد السلاح لتهيىء وطنا فى قلب العالم العربى لملايين اليهود الذين ظلوا هائمين على وجوههم زهاء ألفى عام يعانون التشرد والاضطهاد وعداء السامية (١٦)

---

(١٦) نزعة العداء للسامية «Antisemitism» تعبير قصد به ــ أصلا ــ وصف الحركة التى تهدف الى اذلال اليهود واضطهادهم لكن للكلمة بمعناها الحديث يقصد بها الاعمال التى يقوم بها الافراد أو الجماعات لحرمان اليهود من الحقوق المدنية والدينية والسياسية وحظر اقامة صلة طبيعية بين اليهود وبين غيرهم من أعضاء الاسرة البشرية . وقد ظهر التعبير للمرة الأولى فى ألمانيا فى أعقاب الحرب الألمانية ــ الفرنسية (١٨٧٠/٧١). وتقول المصادر اليهودية أن « Wilheim Marr »كان ــ على الارجح ــ أول من ابتكر هذا التعبير واستخدمه فى نشرة أصدرها عام ١٨٧٩ وهى نفس السنة التى شهدت ظهور « رابطة معاداة السامية » بقيادة « Adolf Stoecker » وكانت الرابطة تمثل تحالفا للقوى المعادية لليهود استنادا الى بواعث اقتصادية ودينية وعنصرية • راجع :

— Universal Jewish Encyclopaedia, Vol. I, p. 341.

— J. Parkes, Antisemitism, Valentine Mitchell and Co., Ltd. London, 1963 , p. 28.

فى الغرب والشرق الأوروبى ، وهذا وضع لم يشهده الشرق العربى منذ أن حرر صلاح الدين بيت المقدس وقضى على آخر الدويلات الصليبية فيما يسمى « العصور الوسطى » ليعيد الى هذه المنطقة وحدتها العربية الاسلامية • ومما يزيد الأمر خطورة ، أنه عندما تغيرت موازين القوى فى النصف الأول من القرن العشرين عقب حربين عالميتين طاحنتين واتخذت الصهيونية طريقها الى مواقع النفوذ فى العالم الأوربى ، شرقيه وغربيه ، لم يجد هذا العالم ما يكفر به عن المظالم التى ارتكبها فى حق اليهود عبر القرون الا على حساب الأمة العربية التى كان تسامحها مع اليهود مضرب الأمثال بشهادة مؤرخى اليهود أنفسهم[١٧] •

* * *

=

— Ibrahim el Hardallo, Antisemitism, A Changing Concept, University op Khatoum Press, 1970, p. 9.

(١٧) Salo Wittmayer Baron, A Social and Religious History of the Jews, 2nd. Ed. Columbia University Press, New York,1957 Vol. 3 P. 121.

وراجع أيضا :

Heinrish Graetz , History of the Jews, Philadelphia, 5117, 1956, Vol. 3 P. 88.

obeikandl.com